الحياة الاجتماعية في الإسلام

محمد سلامة الغنيمى

كان العرب قبل القرآن عبارة عن قبائل متفرقة متنازعة ، تسود فيهم العصبية القبلية والهمجية البدوية ، فتقوم الحروب بينهم على أتفه الأسباب ، تنتشر بينهم الأميه ويتفشى فيهم الجهل ، وكان الرق جزءاً أساسياً فى حياتهم ، يسخرونهم الأغنياء لخدمتهم ويستعملونهم فى تجاراتهم ، ليس لهم حقوق ، وليس هناك قوانين وأسس تحكم العلاقة بين الخادم والسيد ، فكل سيد يعامل خادمه كيف يشاء .

وكان لديهم بعض العادات الإجتماعية السيئة مثل التقليل من شأن المرأة وإحتقارها ، فكانت زوجة الأب تورث مثلها مثل سائر الحيوانات والماديات ، وإنتشرت بينهم عادة وأد البنات وهى دفنهم أحياء ، فضلاً عن التشاؤم والطيرة خاصة من الأنثى .

وإنتشرت بينهم الكثير من السلوكيات الخاطئة ، مثل شُرب الخمر وكانوا يحبونها حباً جماً ، وكذلك الميسر فكانوا يراهنون ويقامرون ، وبجانب ذلك ساد فيما بينهم التعامل بالربا .

فجاء القرآن الكريم بنهج إجتماعى أخلاقى ، كان من نتائجه توحد تلك القبائل المتناثرة المتناحرة فى قالب الأخوة الإسلامية ، وأزال الفوارق الإجتماعية ، وجعل الأفضلية للأتقى ، وأكرم المرأة وأعطاها حقها أُماً وزوجة وبنتاً وأختاً ، وألغى العادات والسلوكيات الجاهلية الأثمة ، مثل وأد البنات والتعامل بالربا وشرب الخمر ولعب الميسر فسار المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضهم بعضاً ، فتعاونوا على نصرة الدين ، فسادوا العالم أكثر من ألف عام ، وحضارتهم هى الحضارة الباقية الخالدة إلى يوم القيامة ، فى حين أن جميع الحضارات القديمة ولت وإندثرت مع مرور الأيام ، ولم يبقى منها إلا أطلال خاوية ، وأثاراً بالية.

والأن ما هى القواعد والأسس الإجتماعية التى يرتكز عليها المنهج الإسلامى فى الحياة الإجتماعية ، التى ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها صحابته ، فكان منهم ما كان ، حتى نربى أبنائنا عليها .

العدالة الإجتماعية :

من أهم المبادئ التى أرساها الإسلام والتى يقوم عليه المجتمع الإسلامى ، والأسس التى تؤسس عليها العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم ، والعدل هو المعيار الذى يدرك من خلاله

مدى ثبات المجتمع وإستقراره ، فالمجتمع الذى يتفشى فيه الظلم وتضيع فيه الحقوق وتغيب بين أفراده الواجبات ، فهو مجتمع جاهلى فوضوى ، حيث يتسم أفراده بهيجان النفس وإضطراب القلب وشرود الفكر وذهاب العقل من جراء الخوف والظلم وعدم الشعور بالإستقرار والأمن ، فيسود بينهم التراع والشقاق وتتفشى فيهم الجريمة وكل ذلك من أمارات خراب المجتمعات وذهابها ، فما قامت الصراعات والثورات وتغيرت الحكومات والأنظمة السياسية والإجتماعية إلا نفوراً من الظلم وبحثاً عن العدل .

أما المجتمع الذى يسود فيه العدل وتعرف فيه الحقوق وتؤدى فيه الواجبات فهو مجتمع يتسم بالثبات والإستقرار ، حيث تسكن فيه النفوس ، وتطمأن فيه القلوب فتهدأ فيه الضمائر وتهتدى فيه العقول ، لشعورهم بالأمان والإستقرار ، مما يؤدى إلى رخاء وإزدهار ذلك المجتمع ، لانه لاثبات ولاتقدم إلا بالامن والإستقرار ، ولاأمن ولاإستقرار إلا بالعدل ، وكما قيل : " إن الله يقيم الدولة الكافرة مع العدل ، ويهلك الدولة المسلمة مع الظلم "

لذلك عنى الإسلام بالعدل ، وجعله حقاً للجميع مع الطبقات والفئات والأشخاص ، قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** " { النساء : ١٣٥ } ، فلا فرق بين الغنى والفقير والصغير والكبير والصالح والطالح والضعيف والقوى والكافر والمسلم والحاكم والمحكوم والحقير والعظيم والعدو والصديق ... فالكل فى ميزان العدل سواء ، روت عائشة.....

، قال تعالى : " **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** " { **الحديد : ٢٥** } .

المساواة الإجتماعية :

المساواة تعنى : المماثلة والمتشابة فى القدر والقيمة ، فالمساواة بين إثنين تعنى أن لهم نفس الحقوق وعليهما نفس الواجبات ، ولا فرق بينهم ، وعكسها الظلم والإستبداد .

فالمساواة الإجتماعية من أهم المبادئ التى ينادى بها الإجتماعيين والتربويين فهى القاعدة التى تحفظ للبشر حقوقهم ، فمن يريد التميز فى ظل مجتمع تغيب فيه المساواة ويسوده التمييز الطبقى والنعصب العرقى فلن يجد النور ، لان مثل هذا المجتمع تُقتل فيه المواهب وتضعف فيه القدرات ،

فالظلم الإجتماعى يؤثر تأثيراً كبيراً على سلوك وأخلاق أفراد المجتمع ، فالمجتمع الذى تغيب فيه المساواة الإجتماعية ، ويعلوه الظلم ويسوده القهر والإستبداد لفئة دون فئة، يُنشأ أفراد يتسمون بالجبن ، والإستهتار واللامبالاة وعدم الإنتماء ، لانهم لم يحصلوا على حقوقهم و لم يتلقوا فرصتهم ، فقُتلت بداخلهم المواهب والقدرات الشخصية ، وتاهت الطموحات ، وكل هذا مبرر كاف لإنتشار الرذائل فى هذا المجتمع .

ومن ثم جاء الإسلام فى أُمة تتسم بالتعدد الطبقى ، سادة ، وفقراء ، ونساء وعبيد ، ويسود الظلم بين هذه الطبقات ، فالحقوق كلها موكولة إلى طبقة السادة ، أما الفقراء فلا حق لهم سوى دريهمات معدودة نظير خدمتهم للطبقة الأولى ، والعبيد لايملكون أى حقوق فهم ملك لسيدهم يحق له التصرف فيهم كيفما شاء ، ولايخفى على أحد موقف المرأة فى العصر الجاهلى ، وكان العرب مع ذلك يرون أنهم أكمل شعب على الإطلاق وأن بقية الشعوب التى سموها بالأعاجم ، هى شعوب وضيعة ناقصة .

ولما قام المجتمع الإسلامى ، أزال التعدد الطبقى ، وألغى الفوارق الإجتماعية وساوى بين الناس جميعاً ، قال تعالى : " **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** " { الإسراء : ٧٠ } ، فالتكريم حاصل لجميع البشر ، فجنس الإنسان مكرم عند الله فلا تفرقة بين قبيلة وآخرى ، ولا بين جنس وآخر ، ولا سلالة وآخرى ، ولا فرق على أساس اللون أو الجاه أو اللغة فالكل سواء ، فلا يترك الإسلام لجماعة أن تستعلى وتترفع على جماعة آخرى ، قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** " { النساء : ١ } ، فالأصل واحد وهو آدم عليه السلام .

ومن مظاهر المساواه فى الإسلام ، تحقيق العدل مع كل الطبقات والأشخاص قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** " { النساء : ١٣٥ } .

وروت عائشة : أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أُسامة بن زيد حِب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتشفع فى حد من حدود الله ؟ " ثم قام فاختطب ثم قال : " إنما أُهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا

سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " [1] ، رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن المساواة والعدل حتى ولو أدى إلى قطع يد ابنته ، فالكل فى الثواب والعقاب سواء ؛ لافضل لمخزومى على أعرابى .

ومن مظاهرها أيضاً ، المساواة فى الحقوق الواجبة عليهم تبعاً لقدراتهم وإستطاعتهم قال تعالى : " **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا** "{ الطلاق : ٧ }.

بذلك نرى أن الإسلام أتاح للجميع نفس الفرص ونفس الظروف ، فما هو معيار التفاضل فى الإسلام ؟ وهل يستوى من جد وإجتهد مع من تبلد وركن إلى هواه وشهواته ؟ بل من أوضح مظاهر المساواة أن وضع الإسلام للتفاضل بين الناس ، لا يجرى فيما لايملكه الإنسان كالخلق والتكوين ، وإنما يندرج ضمن قدراته وإستعداداته ، كأداء العبادات وفعل الخيرات وطاعة الله ورسوله فكلها أعمال يستطيع كل إنسان القيام بها ، فوجه التفاضل فيها بحسب أداء كل شخص لها ، قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** " { الحجرات : ١٣ } .

كما حث القرآن الجميع على التسارع والتسابق فى فعل الخيرات ، لينال كل منهم جزائه على حسب عمله وأدائه ، قال تعالى : " **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** " { أل عمران : ١٣٣ } ، وقال تعالى : " **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** " { الحديد : ٢١ } ، وقال تعالى : " **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا** " { الكهف : ٣٠ } .

فهكذا مع المساواة والعدالة الإجتماعية أتيحت الفرص أمام الصحابة جميعاً فظهر تفوقهم ونبوغهم ، كلاً حسب إمكاناته وقدراته ، فتولى بلال المولى الحبشى الاسود مهمة الأذان لانه الاندى صوتاً ، وتولى زيد بن حارثة قيادة الجيش فى مؤتة لانه الأصلح ، ثم تولى من بعده إبنه أُسامة قيادة الجيش فى تبوك و لم يتجاوز سنه السابعة عشر لانه الأجدر بالمهمه ، ولما طلب أبو ذر الإمارة رده النبى صلى الله عليه وسلم لأنها أمانة وليس كفؤ لها ، وعزل أبو بكر أمين الأمة أبو عبيده وولى خالداً لان له فطنة فى الحرب ليست فى أبى عبيده ، وكان منهم الإقتصادى الذى يسيل المال الحلال بين يديه كالماء مثل عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان إبن عفان ، وكان منهم القائد الفذ الذى تدرس

---

[1] [رواه البخارى " ٣٤٧٥ " ، ومسلم " ١٦٨٨ "] .

أفكاره وخططه حتى الأن مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وكان منهم الإدارى العبقرى مثل عمر بن الخطاب ، وهكذا نبغوا وتفوقوا فى جميع المجالات .

لذلك وجب علينا أن ننشر العدل والمساواة فيما بيننا ، وقد أوضحنا خطورة الظلم على المجتمع عامة ، فكل من ولاه الله أمراً مهما كان حجمه فليتق الله ولينشر العدل فيه فالوالد فى بيته ، والمعلم فى فصله والمدير فى إدارته والموظف فى مكتبه ، وهكذا فى كل الأوساط ، حتى تتاح الفرص أمام الجميع وينتشر الخير ويعم الرخاء .

وما الارهاب وغيره من الجرائم الإجتماعية ، إلا نتيجة للظلم الإجتماعى والتمييز بين الأفراد بنائاً على معايير آثمة ظالمة ، حيث ينشأ الصغير فى أسرة تفضل أحد أبنائها على غيره لصغر سن الآخر أو لجمال سمته ، فيشعر معه بالقهر والإحباط ، وبعد دخول المدرسة ، يجد مُدرسه يهتم بأحد الأولاد ويوليه رعاية وإهتمام أكثر من غيره من الأولاد إما لانه إبن لزميل له ، أو يأخذ معه درس خصوصى أو أنه إبن شخص لامع إجتماعياً ، كما يجد أن من هو أقل منه تحصيلاً علمياً تفوق عليه فى الدرجات بسبب الغش ، وبعد أن يتم تعليمه الثانوى ويلتحق بالجامعة ، يجد أن الفرصة الوحيدة للعمل بالجامعة والترقى فى الدرجات العلمية والوظيفيه لابد أن يكون إبناً لاحد الأساتذة الموجودين بكليتة ، وبعد ان يتخرج هذا الشاب ، لايجد أمامه من فرص العمل إلا بعض الاعمال الدنيويه التى ليست لها علاقة بمجال تخصصه الدراسى فى حين أن الوظائف المرموقة قاصرة على من لديهم المال أو المنصب " الجنيه أو الكارنيه " ، وهذا هو التعبير السائد بين الشباب ، وإذا تغلب الشاب على كل هذه المعوقات وأراد أن يكون أسرة وجد أمامه عدة عراقيل ومسبطات منها أن التسهيلات والمشاريع التى تقوم بها الدولة للشباب من أجل الحصول على سكن لا ينالها إلا أصحاب النفوذ ، بالإضافة إلى غلاء الأسعار وإرتفاع المهور .....، فبالله عليكم ماذا سيكون مثل هذا الشاب ؟ يصبح مثل هذا الشاب أمام أعداء الدين والوطن فيسهل عليهم توظيفه لمصالحهم وأهدافهم .

فإذا كنا نريد مجتمعاً إسلامياً كمجتمع الصحابة ، علينا أن نرسخ مفهوم المساواة فى أذهان أبنائنا قولاً وعملاً ، ونكون لهم خير قدوة ، ويجب ألا ننس هذه المقولة : " **إن الله يقيم الدولة الكافرة مع العدل ، ولا يقيم الدولة المسلمة مع الظلم** " .

الإخاء :

بعد أن سرب الإسلام الطمأنينة إلى أفراد المجتمع بإشاعة المساواه بينهم وإقامة العدل فيهم وجعل التفوق والتميز نظير العمل فمن آمن وصدق قوله عمله وسلم الناس من غوائله ليس كغيره ، ومن جد واجتهد فى طلب العلم ليس كغيره عند الله ، قال تعالى :" **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** " { المجادلة : ١١ } ، حينئذ إستقرت النفوس

وإطمأنت القلوب وإهتدت العقول ، ومع ذلك فكان لابد من ربط أبناء المجتمع المسلم ، برابطة تعبر عن روح الإسلام فى الوحدة والإجتماع وحرصه على نبذ التعصب والتفرق ، رابطة ثابتة مستقرة لاتتغير بتغير الزمن ولا تتأثر بتداخل الثقافات ، ليست إشتراكية ، ولا رأسمالية ..... وإنما هى رابطة إسلامية ربانية .

قال تعالى : " **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** " { الحجرات : ١٠ } ، والأخوة التى إختارها الإسلام إخوة مبادئ لاأخوة نسب ، لأنها أقوى وأوثق من رابطة النسب ، فهى التى جمعت بين " صهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، وسلمان الفارسى " وبين أبناء شبه الجزيرة العربية على إختلاف إتجاهم القبيلية " روم وحبشة وفرس وعرب " ، أجناس وأوطان وألوان وعادات ومناهج وطباع وغرائز وإتجاهات ، فضلاً عن إختلاف الرؤى التى ينظر كل طرف من خلالها إلى الآخر ، بين " الفرس و الروم " عداء منقطع النظير ، و الفرس والروم ينظرون إلى العرب نظرة إستقلال فهم يرون أن العرب " بدو همج " ، لايستطيع أحد العيش معهم ، فلم تحاول دولة واحدة منهم غزو العرب رغم سهولة ذلك ، وفى الإتجاه الآخر نرى العرب أنفسهم يظنون أنهم خير الأجناس ، وأن لهم السيادة على البشر .

رغم كل هذه العوائق والتى يستحيل أن يقضى عليها ويمحى أثرها إلا الأخوة الإيمانية تلك الرابطة التى أزالت ومحت الفوارق العنصرية والعرفية ، فلا " أبيض وأسود " ولكن " مؤمن وغير مؤمن " فردت الجميع إلى الأصل " آدم وحواء " ، فهما الذى جاء منهم البشر جميعاً ومن ثم فكلهم متساوون ، وتكون الأخوة بينهم على حسب إدراك كل منهما للدور الذى خلق الله آدم وحواء من أجله وهى عبادة الله وعمارة الأرض .

وتلك الرابطة إنما هى نعمة من الله وفضل منه ، لانها تتعلق بالروح والقلب ، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء ، فلا يستطيع أحد أن يشتريها ولا يأتى بمثلها ، قال تعالى : " **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** " { الانفال : ٦٣ } .

وقد تفوقت هذه الأخوة على أخوة النسب ، بحيث لانسب ولاقرابة أمام الأخوة الإيمانية ، فهذا أبو بكر الصديق

ومن هنا يقول أنه لن تقوم الأمة الإسلامية ، وتعود إلى ريادته ومكانتها التى كانت عليها ، ولن تكون لها منعه وقوة علمية وحربية وإقتصادية وفكرية وتجارية و..... إلا بالعودة إلى الأخوة الإسلامية والإنضواء تحت رايتها ، فضلاً عن إدراكنا أن ما شاع بين المسلمين من نزاعات وقوميات وحدود وجنسيات إنما هى دعاوى هدم لا إصلاح ، دعاوى تفريق وتشتيت لا تلاحم وترابط قام بها أعداء الإنسانية لبعثرة وحدتها وضياع هيبتها .

وقد جعل الإسلام لهذه الأخوة مقومات تفضى إلى المحبة والوحدة وتبيد وتمنع كل عوامل النزاع والكره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "

المقصود من الإخاء فى هذا الباب هو أن يتأخى مجموعة من الناس فى العقيدة ، قال تعالى : " **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** " { الانفال : ٦٣ } ، كان الصحابة قبل الإسلام عبارة عن قبائل متناحرة متنازعة ، فقد كان بين الانصار " الاوس والخزرج " حروب طويلة دامت لسنوات عديدة ، وكانوا يحملون لبعضهم البعض من الكره والبغض ما يستحيل معه زواله لو كان على يد بشر ، إلا أن الإسلام أخى بين الجميع أوس وخزرج ، أنصاراً ومهاجرين ، قال تعالى : " **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** " { الحجر : ٤٧ } ، وقال تعالى : " **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** " **{ الحجرات : ١٠ } ، وقال تعالى** : " **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** " **{ أل عمران : ١٠٣ }** .

وقد عمق النبى النبى صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ فى نفوس المسلمين ، بجملة من الأقوال والسلوكيات ، فقد قال صلى الله عليه وسلم فى حديث بن عمر : " المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجه أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " [٢] ، ومنه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أنس : " أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ فقال : " تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره " [٣] . ومنه ما رواه أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تهادوا تحابوا[٤]". وايضاً عن أنس قال: " يا بني! تبادلوا بينكم ؛ فإنه أودّ لما بينكم[٥]".

وهكذا كان يتعامل المسلمون مع بعضهم البعض على أساس هذا المبدأ ، فكان الواحد منهم يسعى إلى مرضاة أخيه ، بل ولديه إستعداد إلى أن يضحى بماله بل وبنفسه من أجل أخيه ، فكانوا كالجسد الواحد يتألم بعضهم لتألم البعض الأخر ، فكانوا خير قدوة وخير مثال فى العلاقات الإجتماعية .

---

[٢] [رواه البخارى " ٢٤٤٢ " ، ومسلم " ٢٥٨٠ "] .

[٣] [رواه البخارى " ٦٩٥٢ " ، والترمذى " ٢٢٥٥ "] .

[٤] [رواه البخارى فى الأدب المفرد ، وصححه الألبانى فى صحيح الأدب المفرد "٢٤٠"]

[٥] [نفس التخريج السابق]

❖ مقومات الأخوة الإيمانية :

إذا فقدت الأخوة الاساس الذى تقوم عليه ، والذى يمدها بالثبات والإستقرار ، والذى يعمل على تدعيمها وترسيخها كمبدأ من مبادئ التربية الإجتماعية ، لأصابها الزبول وولت مدبرة مع أبطئ ريح ، لذلك وضع الإسلام لها مقومات تدعمها وترسخها وتثبت أركانها .

١.المحبة والولاء :-

الولاء يعنى حب الله ورسوله والمؤمنين الموحدين ونصرتهم ، فكل مسلم يجب عليه حب المؤمنين وموالاتهم ونصرتهم ، ومن لم يفعل ذلك ووالى الكفار بالحب أو التقليد أو المحاكاه ، فقد نقص إيمانه ، قال تعالى : " **تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ** " { المائدة : ٨٠ } .

فلا يمكن أن تتحقق الأخوة إلا إذا أحب المسلم أخاه المسلم محبة صادقة تصدر من القلب ، قال تعالى : " **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** " { التوبة : ٧١ } ، ولأهمية الحب فى قيام المجتمع المسلم ، جعله الله تعالى شرط من شروط الإيمان ، قال تعالى : " **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** " { المائدة : ٨١ } ، كما جعله النبى صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الإيمان ، فقال صلى الله عليه وسلم : " أوثق عرى الإيمان الموالاة فى الله والمعاداة فى الله والحب فى الله والبغض فى الله " [٦] ، وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : " لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [٧] ، هكذا قرن النبى صلى الله عليه وسلم المحبة بين المسلمين بمحبتهم أنفسهم ، كما أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان وهذا من أكمل دواعى الحب ، قال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار " [٨] ، والاحاديث فى الباب كثيرة .

وطالما توافر هذا المبدأ فى مجتمع ما فماذا تجد منهم ؟ فمثلهم سيعملون على إرضاء بعضهم البعض ، وبالتالى فلن تجد هناك شقاق أو خلاف ، وإنما سيتفرغوا لنصرة دينهم وأوطانهم ، كما فعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد سادو العالم فى فترة لاتكاد تذكر .

---

[٦] [رواه الطبرانى ، والبغوى فى السنة ، وصححه الالبانى فى الصحيحة " ٩٩٨ "] .

[٧] [رواه البخارى " ١٣ " ، ومسلم " ٤٥ "] .

[٨] [رواه البخارى " ١٦ " ، ومسلم " ٤٣ "] .

إذاً فلا سبيل إلى استقرار وتنمية فى العلاقات الإجتماعية إلا بنشر المحبة بين صفوف المجتمع ، الكل يعمل للكل ، والكل يكمل الكل ، محبة صادرة من الضمير ، نابعة من القلب ، لانه يرجوا بها إبتغاء مرضاة الله عز وجل ، لذلك لن يشوبها المراء والمداهنة ، بل هى صافية نقية خالصة ومن هنا كان لزاماً علينا أن نكون خير قدوة لأبنائنا ، وأن نلقنهم القصص والمواقف التى تشير إلى تلك المحبة وفضلها ، وأن نجنبهم المنافسات التى تثير الشحناء والبغضاء فيما بينهم .

٢. الإيثار :-

وهو أن يؤثر غيره بالشئ مع حاجته إليه ، وضده الأثرة : وهى إستئثاره عن أخيه بما هو محتاج إليه ، وعرفه الجرحانى فى التعريفات : أن يقدم غيره على نفسه فى النفع له والدفع عنه ، وهو النهاية فى الاخوة .

والإيثار من الفضائل التى إمتاز بها الإسلام دون غيره من الشرائع ، فهو أرفع درجات السخاء ، وأقوى دعائم ومقومات الأخوة الإيمانية ، فهو مؤشر بقوة المحبة والإخوة ، وعمق العلاقات الإجتماعية ، وقوة التماسك الإجتماعى ، فالإيثار ضد الأنانية ، وحب الذات ، والتى بدورها معول من معاول هدم العلاقات الإجتماعية وتفريقها ، والتى تسربت وإنتشرت داخل مجتمعنا الإسلامى ، مهددة له بالتفكك والتمزق ، زرعها الغرب وترك رعايتها للرأسماليين والعالمانيين ، لذلك يأتى دور الإيثار حتى تعود الأخوة الإيمانية والترابط والتماسك الإجتماعى داخل الحضر ، الذى أصبح التفكك سمة من سماته ، فلنربى أبنائنا على الإيثار ، كما تربى الجيل الاول عليه .

فقد مدح الله تبارك وتعالى الأنصار الذين أثرو المهاجرين على أنفسهم برغم ما كان بهم من فقر وحاجة ، فقد أثروهم بالأموال والأولاد والدور ، لذلك بشرهم الله تعالى بأسمى بشارة يبشر بها إنسان ، وهو الفلاح ، وهذا الفلاح ليسقاصراً على الدنيا فقط بل يتعداه ليشمل الآخرة ايضاً، قال تعالى : " **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** " { الحشر : ٩ } ، وليس الفلاح خاص بهم مقصوراً عليهم ، بل يمتد ليشمل كل من إقتفى أثرهم وسار على دربهم وإتبع نهجهم ، قال تعالى فى الآية التالية : " **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** " { الحشر : ١٠ } ، وقال تعالى : " **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** " { التوبة : ١٠٠ } .

وإعلم أخى المربى أن المربى الكفء من صفاته أن يحول أولاده من المنافسة على الإمتلاك إلى المنافسة على الإيثار ، ولك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة والقدوة الصالحة ، هو وصحابته ، ومن افضل الوسائل التى يكتسب بها الطفل الإيثار ويصبح ضمن قيمة وإتجاهاته ، هو إسلوب القصة المشوقة والحكاية المؤثرة والمواقف الخالدة المنتقاه من تاريخ هذه الأمة الناصع ، ومنها ما فعله الأنصار مع إخوانهم المهاجرين ، وينبغى على الأبوين داخل الاسرة أن تلتزموا بهذا السلوك ، فهى أول قدوة فى حياة الإنسان .

ومن الجدير بالذكر ، إن المؤاثرة لاتكون إلا فى طاعة الله ، كأن تترك مثلاً صلاة الجماعة فى المسجد حتى لاتزعج ضيفك فهذه المؤاثرة مرفوضة ، كأن يترك الفرد مساعدة أمه حتى يترك المجال لأخيه ، فهذه أيضاً ليست مؤاثرة ، فلابد أن ينتبه المربى لمثل هذه الأمور ، كما ينبغى للمربى أن يكون يقظاً لماحاً ، فإذا لاحظ الإيثار من أحد تلاميذه ، فينبغى أن يبادر بالثناء عليه ومدحه ومكافأته ، فالله تعالى يقدر ويكافئ على قدر العمل .

٣. العفو والصفح :-

من السلوكيات الإجتماعية التى ينبغى أن يبنها الأباء والمربون فى نفوس تلاميذهم وأبنائهم .

وقال إبن منظور فى لسان العرب : العفو : هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحو والطمس ، أما الصفح : فهو الإعراض عن الذنب .

قال تعالى : " **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** " { الأعراف : ١٩٩ } ، هذه الآية تدل على عظمة هذا السلوك القويم وأهميتة فى التربية الإجتماعية ، فالتعبير القرآنى يشير بالاخذ ، والعرف يقول أنه كلما كان الإنسان عظيماً وقال خذ ، فهذا يدل على أن المأخوذ عظيم فى نفسه ، فما بالك إذا كان المعطى هو الله جل وعلا والأخذ هو أحب خلق الله إلى الله ، فكيف يكون الشئ المأخوذ ، فلابد أنه أعظم القدر ، والعفو هو مفتاح السعادة ؛ وهو سر النجاح فى معاشرة الخلق ؛ فمن تأمل حال الخلق وحدهم غير معصومين من الخطأ ، ولو وقف المرء أمام كل خطأ ليقتص لنفسه ما عاش أحد ، وإذا تتبعت أحوال الناجحين فى الحياة الإجتماعية ، لوجدت من أهم سماتهم الإجتماعية هو العفو ، فهو يرقى بالإنسان فالإنتقام وعدم العفو والوقوف على الأخطاء صغيرها وكبيرها ، سمة من سمات الحيوان ، ويكفى أن العفو من صفات الله تبارك وتعالى ، كما أن الإنتقام أيضاً من صفاته ولكن مع من أصر على العصيان وأثر العناد .

من هنا كان العفو من أهم مقومات ودعائم الأخوة ، فهو يزيل العداوة والكره ويذهب بالبغضاء والشحناء ، لذا تجد العفو محبوب إجتماعياً ، ليس له أعداء ، لذلك أمر الله تبارك وتعالى به فى كثير من الآيات ، وحث عليه بأسمى الأُمنيات ، قال تعالى : " **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا**

بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ " { الحجر : ٨٥ } ، وقال تعالى : " **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** " { النور : ٢٢ } ، وقال تعالى : " **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** " **{ آل عمران : ١٣٤ }** ، **وقال تعالى : " وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** " { الشورى : ٤٣ } ، وغيرها من الآيات التى تبين فضله وأثره .

وإذا كنا نريد لأبنائنا وتلاميذنا ، تربية نفسية صافية من كل ما يعكر النفس ويشوبها ، وإذا كنا نريد لهم تربية إجتماعية قوامها الأخوة والمحبة ، والأمان والسيادة ، وكسب العلاقات الإجتماعية الفعالة ، فعلينا بإكسبهم سلوك العفو ، فنتمثل ونتشبع به ، ونقص عليهم ما يؤثر من المواقف الجليلة ، والقصص الرائعة فى العفو ، وأن نكافئ ونثيب عليه .

ولا تنس ؛ أخى المربى أن تعلمهم أن العفو لابد أن يقابل بالفضل ، كما علمنا الله تبارك وتعالى ، قال : " **وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** " { البقرة : ٢٣٧ } .

٤.<u>الصبر وإحتمال الأذى :-</u>

المؤمن يتحمل ويصبر على ما يجده من إخوانه من جفاء وغلظة ، وما يلقاه منهم من أذى وإساءة سواء بالقول أو الفعل ، فهو يتحمل كل ذلك إحتساباً عند الله وحفاظاً على الأخوة ، قال تعالى : " **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** " { فصلت : ٣٤ - ٣٥ } ، يربى الله تبارك وتعالى المجتمع المسلم على ما يسميه أصحاب علم الإجتماع بثقافة التسامح ، فمن أخلاق المسلمين المؤمنين أن يقابلون الإساءة بالإحسان ، لانه من خصائص النفوس الكريمة إنها تحب من أحسن إليها ، وعفا عنها ، وبها تزول العداوة ويصير العدو ولى حميم ، ولما كانت هذه الخصلة تحتاج إلى مجاهدة ومثابرة ، أتبعها الله بما من شأنه أن يدفع كل عاقل إلى الإلتزام بها والإتصاف والتمسك بها ، حتى يكون من أصحاب الحظ العظيم .

وهذه الصفة من أهم الصفات والسلوكيات التى تحافظ على وحدة المجتمع وبقاؤه متماسكاً متفاعلاً ، فلو ذهب كل فرد إلى الإنتقام لنفسه ممن إساء إليه ، ويدفع السيئة بمثلها لما إنتهى الدور ، وعندها صبح المجتمع فى دوامة من البطش والعنف .

٥.خصال مذمومة نهى الإسلام عنها:-

و لم يغفل الإسلام تحريم بعض الصفات المذمومة التى توقع العداوة وتنشىء الفتن وتلقى بشـــرها على المجتمع كله مقطعة أوصال المحبة والأخوة .

❖ الغيبة :-

حرم الله تعالى الغيبه ، وهى ذكر المسلم أخيه بما يكره فى غيابه ، قال تعـــالى : " **وَلَـــا يَغْتَـــبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** " { الحجرات : ١٢ } ، فقد نفر الله تعالى منها أبلغ وأشد تنفير ، حيث صور الذى يغتاب بأنه يأكل لحماً وهذا اللحم ميتاً ليس هذا فحسب إنما هو لحم أخيه ، والنفوس السليمة تجزع وتنفر من سماعه .

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها أيضاً ، فعن أبى هريره – رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أتدرون ما الغيبه ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : " ذكرك أخاك بما يكره " قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : " إن كان فيه ما تقول فقد إغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته " [٩] .

وعن أبى بكرة – رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطبته يوم النحر بمنى فى حجه الوداع : " إن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، حرام عليكم كحرمة يومكم هـــذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت [١٠] .

وعن عائشه – رضى الله عنها – قالت : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : حسبك من صـــفية كذا و كذا – قال بعض الرواة – تعنى قصيره – فقال : " لقد قلت كلمة لو مزجت بمـــاء البحـــر لمزجته " قالت : وحكيت له إنساناً فقال : " ما أحب أنى حكيت إنساناً وإن لى كذا وكذا " [١١] .

والغيبة من الامراض الخلقية والاجتماعية الخطيره ، لها آثارها السلبية على الفرد والجماعة تورث الهم والغم والحزن ، وتسبب الشعور بالقلق وعدم الإرتياح ، من قبيل قول الشاعر:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

تفقد الإحترام وتذهب بالهيبة ، لانشغال صاحبها بهفوات الناس وسقطاتهم ، كما تنشـــأ العـــداوات والأحقاد وثير البغضاء والكراهية فهى تفرق بين الناس، وتورث العداوة والشحناء ، كما أنها كشف للستور وإظهار للغيوب ، وفضح للعيوب ، لذلك فأثارها مدمرة من شأنها أن تقضى علـــى المجتمـــع وتذهب بريحه ، فكان من رحمة الله علينا أن حرمها وصور حرمتها بأبشع الصور .

---

[٩] [رواه مسلم " ٢٥٨٩ " ، والترمذى ، وأبو داود] .

[١٠] [البخارى " ٦٧ " ، " ٤٦٦٢ " ، ومسلم " ١٦٧٩ "] .

[١١] [رواه أبو داود ، والترمذى ، وصححه الالبانى فى صحيح الجامع " ٥١٤٠ "] .

ولكن هناك حالات خاصه تباح فيها الغيبه .

قال الامام النووى : اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها ، وهو ستة أسباب :

الأول : التظلم ، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية ، أو قدرة على إنصافه من ظالمه ، فيقول : ظلمني فلان بكذا .

الثاني : الاستعانة على تغيير المنكر ، ورد العاصي إلى الصواب ، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر : فلان يعمل كذا ، فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر ، فإن لم يقصد ذلك كان حراما .

الثالث : الاستفتاء ، فيقول للمفتي : ظلمني أبي أو أخي ، أو زوجي ، أو فلان بكذا فهل له ذلك ؟ وما طريقي في الخلاص منه ، وتحصيل حقي ، ودفع الظلم ؟ ونحو ذلك ، فهذا جائز للحاجة ، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول : ما تقول في رجل أو شخص ، أو زوج ، كان من أمره كذا ؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين ، ومع ذلك ، فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند إن شاء الله تعالى .

الرابع : تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم ، وذلك من وجوه :

منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين ، بل واجب للحاجة .

ومنها : المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته ، أو إيداعه ، أو معاملته ، أو غير ذلك ، أو مجاورته ، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله ، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة .

ومنها : إذا رأى متفقها يتردد إلى مبتدع ، أو فاسق يأخذ عنه العلم ، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك ، فعليه نصيحته ببيان حاله ، بشرط أن يقصد النصيحة ، وهذا مما يغلط فيه . وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد ، ويلبس الشيطان عليه ذلك ، ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك.

ومنها : أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها : إما بأن لا يكون صالحا لها ، وإما بأن يكون فاسقا ، أو مغفلا ، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ، ويولي من يصلح ، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ، ولا يغتر به ، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به .

الخامس : أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر ، ومصادرة الناس ، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلما ، وتولي الأمور الباطلة ، فيجوز ذكره بما يجاهر به ، ويحرم ذكره بغيره من العيوب ، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه .

السادس : التعريف ، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب ، كالأعمش ، والأعرج ، والأصم ، والأعمى ، والأحول ، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك ، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص ، ولو أمكن تعريفه بغير

ذلك كان أولى ، فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه ، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة [١٢] .

❖ النميمة :-

ومن آداب الحديث أيضاً خلوه من النميمه وهى نقل الكلام بين طرفين لغرض الافساد وزرع العداوة والفتنة بينهم .

وقد حرمها الله ورسوله ، قال تعالى : " **هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** " { القلم : ١١ } ، وعن حذيفة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يدخل الجنه نمام " [١٣].

وقد أعد الله تعالى للنمام العذاب الاليم فى القبر ، فعن إبن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال : " إنهما يعذبان ، وما يعذبان فى كبير ، بلى إنه كبير ، أما أحدهما ، فكان يمشى بالنميمة ، وأما الاخر فكان لايستتر من بوله " [١٤] .

والنمامون هم شرار الناس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : " شراركم المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الاحبة ، الباغون العيوب " [١٥].

حقاً هم شرار الناس لأنهم يضيعون أوقاتهم وأوقات غيرهم هباءً منثورا بدلاً من ذكر الله وما ينفع الناس ، فضلاً عن الأضرار المادية والأدبية التى يلحقونها بالناس ، فضلاً عن الفتن والأحقاد التى يذرعونها بين الناس ، فهؤلاء لا أمان لهم .

قال الشاعر :-

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه على الصديق ملم تؤمن أفاعيه
السيل بالليل لا يدرى به أحد من أين جاء و لا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضيه والويل للود منه كيف يفنيه

❖ الكذب :-

الكذب من كَذَبَ كِذْباً و كِذّاباً : أخبر عن الشئ بخلاف ما هو عليه فى الواقع ، وهو سلاح من أقوى وأشد أسلحة إبليس فى إفساد بنى آدم ، فهو البداية لكل معصية ، فالكذوب يتعمد

---

[١٢] [رياض الصالحين ، " ص ٣٧٦ "] .

[١٣] [رواه البخارى " ٦٠٥٦ " ، وصحيح مسلم " ١٧١٤ "] .

[١٤] [رواه البخارى " ٢١٦ ، ١٣٨٧ " ، ومسلم " ٢٩٢ "] .

[١٥] [رواه أحمد ، وحسنه الالبانى فى الادب المفرد " ٣٢٣ "] .

الكذب ليغطى ويمحو نقيصة قام بها أو ليجمل سيئة فعلها ، أو ليبرر ما يقوم به من أعمال الشيطان ، لذلك فهو كما وصفة الصادق الصدوق بأنه يؤدى إلى الفجور ، لهذا فقد حاربه الاسلام وحرمه صيانه للفرد والمجتمع من أخطارة وقضائاً على أقوى أسلحه إبليس اللعين .

وقد حرمه الله تعالى فقال : " **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** " { الاسراء : ٣٦ } ، وقال تعالى : " **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** " { ق : ١٨ } ، وقال تعالى : " **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** " { البقرة :١٠ } ، وقال تعالى : " **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ** " { الزمر : ٦٠ }

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنه ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " [١٦] ، كما أنه خصله من خصال النفاق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصله منهن كانت فيه خصله من نفاق حتى يدعها ، إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر " [١٧] .

وقيل : رأس المأثم الكذب وعمود الكذب البهتان ، أمران لا ينفكان من الكذب ، كثرة المواعيد ، وشدة الاعذار .

وقال الفضيل : ما من مضغة أحب إلى الله تعالى من اللسان إذا كان صدوقاً ولا مضغة أبغض إلى الله تعالى من اللسان إذا كان كذوباً .

لا يكذب المرء إلا من مهانته أو فعله السؤ أو من قله الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة من كذبة المرء فى جد وفى لعب

ما يجوز من الكذب : -

قال الامام النووى رحمه الله : إعلم أن الكذب ، وإن كان أصله محرماً ، فيجوز فى بعض الاحوال بشروط ، مختصر ذلك أن الكلام وسيله إلى المقاصد ، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه ، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب ، ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحا كان الكذب مباحا ، وإن كان واجبا ، كان الكذب واجبا . فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله ، أو أخذ ماله وأخفى ماله وسئل إنسان عنه ، وجب الكذب بإخفائه . وكذا لو كان عنده وديعة ، وأراد ظالم أخذها ، وجب الكذب بإخفائها . والأحوط في هذا كله أن يوري . ومعنى

---

[١٦] [رواه البخارى " ٦٠٩٤ " ، ومسلم " ٢٦٠٧ "] .

[١٧] [رواه البخارى " ٣٤ " ، ومسلم " ٥٨ "] .

التورية : أن يقصد بعبارته مقصودا صحيحا ليس هو كاذبا بالنسبة إليه ، وإن كان كاذبا في ظاهر اللفظ ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب ، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب ، فليس بحرام في هذا الحال .

واستدل العلماء بجواز الكذب في هذا الحال بحديث أم كلثوم رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، يقول : ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، فينمي خيرا أو يقول خيرا)) ، زاد مسلم في رواية : قالت أم كلثوم : ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث، تعني : الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها [١٨] .

❖ السخرية والاحتقار:-

حرم الله تعالى إحتقار المسلم أخاه ، والاحتقار من حقر يحقر بمعنى ذلَّ ، فالحقر يعني الذله والتصغير والتقليل والاستهانة بالغير ، قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** " { الحجرات : ١١ } ، وقد ذم الله تعالى فاعله ، وأعد له عذاباً أليماً ، قال تعالى : " **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** " { التوبة : ٧٩ } ، وكما يسخر الشخص من الآخر ، يسخر المعتدى عليه من الساخر يوم القيامة ، قال تعالى : " **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** " { المطففين : ٢٩ : ٣٦ } .

وعن أبي هريره – رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بحسب إمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم " [١٩].

فيحرم على المسلم أن يشمل حديثة إحتقاراً لغيره ، فالله سبحانه يرفع الناس بعضهم فوق بعض ، فهو سبحانه قادر على أن يزل المُختَقِر ويرفع المحتقَر ، فعن جندب بن عبد الله – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من ذا الذى يتألى على أن لا أغفر لفلان إنى قد غفرت له ، وأحبطت عملك " [٢٠] .

---

[١٨] [رياض الصالحين ، ص " ٣٨٢ – ٣٨٣ "] .

[١٩] [رواه مسلم " ٢٥٦٣ ، ٢٥٦٤ "] .

[٢٠] [إنفرد به مسلم " ٢٦٢١ "] .

❖ السباب واللعان وإيذاء الغير :-

حرم الله ورسوله السب واللعن وإيذاء الغير بغير حق تحقيقاً للعدل والرحمه وحفاظاً على الوحدة والمحبة والالفه بين المسلمين ، ووقاية ودرءاً للفتنة والفرقه والاختلاف ، ومحواً لامراض القلوب قبل علتها من حقد وكره .

قال تعالى : " **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** " { الاحزاب : ٥٨ } .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لعن المؤمن كقتله " [٢١] ، فقد شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن بالقتل وهو أكبر الكبائر تنبيهاً للمسلمين لما يحدثه اللعان من أثر فى نفس المعتدى عليه . ونفى النبى صلى الله عليه وسلم الشفاعه والشهادو للعانون يوم القيامه ، قال : " لايكون اللعانون شفعاء ، ولا شهداء يوم القيامة " [٢٢] .

ويستثنى من ذلك لعن بعض أصحاب المعاصى غير المعينين ، من قوله تعالى : " **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** " { هود : ١٨ } ، فلم يحدد شخصاً يعنيه ، ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تحديد ، مثل لعن الواصله والمستوصله ، لعن المتشبهين من الرجال بالنساء ..إلخ ، فكلها ألفاظ تكره .

كما جعل صلى الله عليه وسلم سب المسلم من الفسق فقال : " سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر " [٢٣]، وأيضاً من صفات غير المؤمنين السب و اللعن و الفحش فى القول ، قال صلى الله عليه وسلم : " ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذى " [٢٤] ، وإنما المسلم من حفظ لسانه ويده عن المسلمين ، قال صلى الله عليه وسلم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " [٢٥] .

❖ المن على الغير :-

ومن آداب الأخوة ، ألا يمن المرء بما أعطى ويعتدّ به ، يقصد من الاعتداء إلحاق الاذى والتوبيخ بالمعطى .

---

[٢١] [رواه أحمد ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، وصححه الالبانى فى صحيح الجامع " ٧١٢ "] .

[٢٢] [رواه مسلم "٢٥٩٨ " ، وأبو داود] .

[٢٣] [رواه البخارى " ٤٨ " ، ومسلم " ٦٤ "] .

[٢٤] [رواه الترمذى ، وصححه الالبانى فى الصحيحه " ٨٩٠ "] .

[٢٥] [رواه مسلم " ٤١ " ، وأحمد] .

والمن يبطل الصدقه ، قال تعالى : "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** " { البقرة : ٢٦٤ } .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامه ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم " قال (أى الراوى) : فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، ثم قال الراوى (أبو ذر) : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : " المُسبل ، والمنان ، والنفق سلعته بالحلف الكاذب " [٢٦] .

❖ الهمز والمز :-

قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** " { الحجرات : ١١ } ، وقال تعالى : " **هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** " { القلم : ١١ } ، وقال تعالى : " **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ** " { الهمزة : ١ } .

الهمزة من الهمز ، بمعنى الطعن فى أعراض الناس ، ورميهم بما يؤذيهم ، واللمزة من اللمز ، بمعنى السخرية من الغير ، عن طريق الإشارة باليد أو العين أو غيرها ..... وقيل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب ، واللمزة الذى يعيبك فى الوجة ، وقيل العكس ، وحاصل هذه الأقوال يرجع إلى أصل واحد ، وهو الطعن وإظهار العيب ، ويدخل فى ذلك من يحاكى الناس فى أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه . [٢٧]

❖ التنابز بالألقاب : -

التنابز هو التداعى بالألقاب المكروهة ، كأن ينادى الشخص بأقبح أسمائه إزدراءاً له وتعيراً به ، فقد نهى الله تبارك وتعالى عنه فى آية السلوك قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** " { الحجرات : ١١ } ، ولكن يستحب للمسلم أن ينادى أخاه بأحب أسمائه إليه .

---

[٢٦] [رواه مسلم " ١٠٦ " ، والترمذى ، والنسائى ، وأبو داود ، وإبن ماجة] .

[٢٧] [التفسير الوسيط : جـ ١٥ ، صـ ٥٠٤] .

❖ سوء الظن :-

قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** " { الحجرات : ١٢ } ، وقال صلى الله عليه وسلم : " إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث " [٢٨] .

يحرم الله تبارك وتعالى سوء الظن بالمسلم المستور الحال ، الظاهر العدالة ، النقى النظيف ، وذلك بدون دليل واضح وبرهان قوى ، ففيه هتك لحرمات الأشخاص وإستباحة لكراماتهم وحرياتهم ، فهو بأمرهم إجتناب كثيراً من الظن ، فلا يتركوا أنفسهم نهباً لكل ما يوسوس به الشيطان وما يلقيه من شبهات وشكوك تثير القطيعة وعدم التواد فى المجتمع .

وقد عبر جل شأنه بقوله : " **كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ** " للإشعار بأن الغالب على الظن أن يكون باطلاً لاأصل له ، فهو لايدرى أى ظنونه تكون صادقة ؛ وما دام الامر كذلك فالاولى والاجدر إجتناب الظن كلية .

❖ التجسس وإتباع العورات :-

قال تعالى : " **وَلَا تَجَسَّسُوا** " { الحجرات : ١٢ } ، فالله تبارك وتعالى يحث المجتمع المسلم على الأخذ بالمظهر من أحوال الناس ، وينهاهم عن البحث عن الأسرار وتتبع العورات .

والتجسس قد يكون هو الحركة التالية للظن ، وقد يكون حركة إبتدائية لكشف العورات ، والإطلاع على السوءات والقرآن يقاوم هذا العمل الدينى من الناحية الأخلاقية ، فالناس حرياتهم وحرماتهم وكراماتهم التى لايجوز أن تنتهك فى صورة من الصور ، ولاتمس بحال من الاحوال ، ولايوجد مبرر – مهما يكن – لإنتهاك حرمات الأنفس والبيوت والأسرار والعورات ، حتى ذريعة تتبع الجريمة لاتصلح فى النظام الإسلامى ذريعة للتجسس على الناس [٢٩] .

❖ التثبت من الأخبار :-

قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** " { الحجرات : ٦ } ؛ يأمر الله عباده المؤمنين بالتثبيت والإستيقان من الأخبار صيانة للمجتمع من الخصام والتفكك ، ومن الإندفاعات وراء أخبار الفساق ، وذلك

---

[٢٨] [رواه البخارى " ٥١٤٤ " ، ومسلم " ٢٥٦٣ "] .

[٢٩] [التفسير التربوى : جـ ٣ ، صـ ٣٢٤] .

لايشيع الشك بين المسلمين ، فتستقيم الاخوه الإسلامية ولا تعصف بها أخبار وأقوال المشككين والفساق .

التكافل الإجتماعى :

يقصد بالتكافل الإجتماعى ، ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " [٣٠] ، فالتكافل الإجتماعى بمفهومه الإسلامى يعنى أن تكون أفراد المجتمع متشاركين متضامنين مع بعضهم البعض ، محافظين على مصالحهم العامة والخاصة ، يدفعون عن بعضهم البعض المفاسد والاضرار، ليس فقط فى النواحى المادية ، بل المعنوية أيضاً .

وتأتى فكرة الضمان الإجتماعى فى العصر الحديث ، فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، من منطلق أن السلام الإجتماعى لا يمكن أن يتحقق فى حياة الشعوب إذا ترك الفرد يواجه محنه وشدائده وحاجته، دون أن يشعر بان المجتمع من حوله على إستعداد لمديد المعونة إليه وقت ضعفه ومحنته .

ومن هنا يتضح الفرق بين التكافل الإجتماعى كما بينه القرآن الكريم ، منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام مضت ، كما فى قوله تعالى : " **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** " { التوبة : ٧١ } ، فالتكافل الإجتماعى يعم كل فرد من أفراد المجتمع المسلم ، طاعة لله ورسوله ، وإبتغاء الثواب من الله ، فى حين أن التكافل الإجتماعى الذى نادى به العرب قائم على رغبة الفرد ، فهو تطوعى .

كما أن التكافل الإجتماعى فى القرآن لايقتصر على المسلمين فقط ، بل يتعداهم كل بنى الإنسان على إختلاف دياناتهم ومعتقداتهم ؛ ماداموا يعيشون بسلام داخل ذلك المجتمع ، وليس بينهم وبين المسلم قتال ولا عداوات ؛ من إغتصاب للأموال والدور ، فأولئك يشملهم التكافل الإجتماعى القرآنى ، قال تعالى : " **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** " { الممتحنة : ٨ } .

ومن أهم مظاهر التكافل الإجتماعى فى الإسلام ، كفاية المحتاجين ، من غذاء أو كساء أو إيواء ، فقد جعل الله تبارك وتعالى كفايتهم فرض كفاية على الأغنياء ، قال تعالى : " **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** " { التوبة : ١٠٣ } ، وقال تعالى : " **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** " { الذاريات : ١٨-١٩ } ، وهذه الآيات وغيرها تعنى بفريضة الذكاة ، وفضل التصدق على

---

[٣٠] [رواه البخارى " ٦٠١١ " ، ومسلم " ٢٥٨٦ " ، واللفظ له] .

المحتاجين وثمرته فى الدنيا قبل الآخرة ، وأن الصدقة تكون فى السر وتكون فى العلن وأن صدقة السر أفضل من صدقة العلن أو الجهر ، ومن واجبات المربى أيضاً أن يلقن الصغير ما جاء فى قوله تعالى : " **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** " { البقرة : ٢٦٢ } ، فالتكافل الإجتماعى فى الإسلام يعتبر أن المحتاج له حق الإعانة على الميسور ، ومن ثم لاينبغى على الميسور أن يؤذيه بالقول أو بمجرد الإشارة ، ولايمن عليه .

ومن الوسائل الفعالة فى غرس التكافل الإجتماعى لدى الأولاد أن نعطيهم أموال الذكاة أو الصدقات ، ليعطوها هم للمستحقين ونبين لهم حقيقة الأمر كما علمنا الله إياه ، كما ينبغى للمربين أن يذكروا الأولاد بالفقراء والمحتاجين مع ظهور النعم وفى المناسبات مثل الأعياد ، ففى عيد الفطر تأتى صدقة الفطر ، وقدرها زهيد يستطيع تقريباً كل فرد أن يشارك بالتكافل الإجتماعى من خلالها ، وفى الأضحى تأتى الاضحية ، هكذا يكون المجتمع المسلم .

كما لايقف التكافل على الجوانب المادية فقط بل يتعداه كما أسلفنا ليشمل جميع متطلبات الحياة ، ومنها نشر العلم داخل المجتمع بين أفراده ، وعدم كتمان العلم عمن يطلبه ، ومن مظاهره أيضاً إعانة المحتاج ، وإغاثة الملهوف .

وإذا غرست أيها المربى فى نفس طفلك منذ نعومة أظفاره التكافل الإجتماعى كما بينه القرآن الكريم ، وعلمته القناعة والرضا برزق الله ، فقد أنشأت طفلاً صحيحاً نفسياً وإجتماعياً ، فمعظم المشاكل التى تواجه الإنسان تكمن فى المال ، فمن يحرص على إعانة الأخرين وحمل همومهم ، فهو إنسان ينظر للمال على أنه وسيلة وليس غاية ، والعكس فمن يعتبر المال غاية فى حد ذاته ، هلك فى بحر الطمع والأنانية والبخل وأحاطت به الهموم والغموم وألمت به الأمراض والأسقام الجسدية والإجتماعية ، وهلك معه من حوله من أفراد أسرته ، فهو لايعتنى إلا بالمال وجمعه فقط ، بالإضافة الفقراء والمساكين من أفراد مجتمعه ، ولم يكترث هو فى جمعه عن حقوق غيره ، فلا يضره أكان عن طريق أخذ أموال اليتامى أو بالنصب وظلم الناس .

ولهذه الأثار المدمرة قال تعالى عن المال : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** " { التوبة : ٣٤ } ، **وقال تعالى : " الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** " { الكهف : ٤٦ } ، وقال تعالى : " **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ**

وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ " { آل عمران : ١٤ } .

الإصلاح الإجتماعى :

بجانب ما سبق من مبادئ وأسس التربية الإجتماعية ، يأتى هذا المبدأ البالغ الأهمية ، فالله سبحانه وتعالى يطلب من المؤمن أن يكون إيجابياً فى مجتمعه إذا رآى منكراً ينكره ، ويوجه الواقعين فيه إلى الخلاص منه ويحذرهم من خطره ، وإذا رآى معروفاً أو خيراً لايمارس يأمر بأدائه ويعرف به وفضله ، فالفروض المجتمع الإسلامى إيجابياً يعمل على إصلاح مجتمعه ، قال تعالى : " **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** " { آل عمران : ١٠٤ } ، وقال تعالى : " **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** " { لقمان : ١٧ } .

فمما لاشك فيه أن أى شئ إذا أحكمت غلقه ، فإنه إذا كان هناك من يحاول فتحه فمع مضى الزمن سيفتح ، فالله سبحانه وتعالى كما رأينا وضع من المبادئ والاسس الإجتماعية ما يضمن بقاء الجماعة الإسلامية إلى يوم القيامة ، ولكن مع وجود النفس الأمارة بالسؤ والهوى والشهوات وشياطين الإنس والجن ، كل هؤلاء يدعون إلى الفساد والتحلل من تلك المبادئ والأسس ، فكان لابد من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، درئاً ودفعاً للوساوس والشهوات ، بحيث لو تغلب أحدهم على فرد ما وجد من يذكره ويعظه ، فيفنى الخير .

ومجتمعاً خالياً من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهو مجتمع يعج بالفتن والشهوات فهو كالسنبلة تأتى بها الريح وتذهب ، ويصبح ذلك المجتمع عرضة للإنحراف والهلاك ، وهذا ما حدث مع المجتمع المسلم ، فيوم أن غاب الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، أصابت المجتمع فتنة المال ، ومن بعدها توالت الفتن تترا ، فإنحط المجتمع فى وحل من الشهوات والملذات ، فتداعت عليه الأمم ، وزالت هيبته ، واضمحت ريادته ، فبعد أن كان سائداً تتبعه الأمم أصبح مسوداً تابعاً لغيره ، لايملك حتى رأيه .

ولذلك علق الله تبارك وتعالى خيرية هذه الأمة وأفضليتها على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال تعالى : " **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** " { آل عمران : ١١٠ } ، فقدم الله أداتى الإصلاح الإجتماعى على الإيمان به ، لانه يغيرهما لن يكون هناك إيمان ، إلا بقدرة الله تبارك وتعالى .

ونظراً لاهمية هذا الإصلاح فى المجتمع ، وجه الله تبارك وتعالى رسالة إلى المربين يوجههم فيها إلى ضرورة توجيه الأولاد إلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أى دورهم فى اللإصلاح الإجتماعى ، وجاءت هذه الوصية على لسان لقمان الحكيم وهو يوصى إبنه ، قال تعالى : " **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** " { لقمان : ١٧ } .

فيصبح لزاماً على المربين آبائاً ومعلمين ، ليس فقط أن يأمروا هم أبنائهم وطلابهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر ، بل يوجهوهم إلى القيام بهذا الدور ، فيكونون هم آمرون وناهون ، وأن يقصوا عليهم ما جاء فى القرآن من قصص تتعلق بهذا الأمر ، ويظهر والهم أهميته وضرورته فى الإصلاح وفضله وثوابه عند الله ، كيف أنه دور من إصطفاهم الله من رسله وأنبيائه لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، فهم بالقيام بهذا الدور يقتدون بالرسل ويشاركوهم صفة من صفاتهم ، حتى يلمس هذا السلوك شفاف قلوبهم ، فيرتبطوا به ويشبوا عليه ، وينفعلوا له .

إكتساب الآداب والقيم الإجتماعية والسلوكية :

وضع القرآن الكريم جملة من القيم ، التى لاغنى للمجتمع بدونها ، وتعد معايير للحكم على السلوك ، فبدون هذه القيم يقف المجتمع بلا تقدم ، قيم يحيى بها الفرد والجماعة ، تدفع إلى سلامة الفرد ووحدة الجماعة وتماسكها ، بما تبثه من تعاون ، وتلقيه من محبة ومودة تذكى روح الأخوة والمساواة ، وتقضى على الحقد والكراهية ، وتذهب بالغضب والحسد والأنانية أدراج الرياح .
وإليك هذه القيم والأيات التى تشير إليها : -

١.التواضع :-

التواضع هو ذلك السلوك الفعال فى كسب القلوب وأسر العقول ، لذلك لاتجد نبياً إلا متواضعاً ، وقد بين الله تعالى لنبه صلى الله عليه وسلم وللمسلمين أن التواضع هو السر فى إمالة القلوب واستقطابها ، وأن الغلظة والتعالى سبب البعد والنفور ، قال تعالى :" **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** " {آل عمران:١٥٩} .

التواضع هو السلوك الذى يمنح القدرة على التعبير عن النفس ، وتدرك من خلاله السجايا ، وتعرض من خلاله الحقائق بمرونة وبشكل سهل بسيط ، يضفى على صاحبه هالة ووقار يدركه كل من يتعاملون معه ، ويعطى انطباعاً إيجابياً ، وتوفر عليه البحث عن أساليب معقدة يفرض من خلالها نفسه ورغباته .

وقد مدح الله تعالى المتواضعين وذم المستكبرين وتوعدهم بالعذاب الأليم ، قال تعالى : " **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** " { المائدة : ٨٢ } ، وقال تعالى : " **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** " { الشعراء : ٢١٥ } ، وقال تعالى : " **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** " { النجم : ٣٢ } ، وقال تعالى : " **وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ** " { الأعراف : ٤٨- ٤٩ } .

أما الكبر وهو الترفع والتعالى وإعتقاده أنه فوق الناس ، قال تعالى فيه : " **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** " { القصص : ٨٣ } ، وقال تعالى : " **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا** " { الإسراء : ٣٧ } ، وقال تعالى على لسان لقمان : " **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** " { لقمان : ١٨ } .

فالتواضع ترسيخ وتدعيم للأخوة والمساواة التى وضعها الإسلام ، أما الكبر فهو المرض العضال الذى ينال من الأخوة فيقضى عليها ويضع بدلاً منها الكره والحقد والحسد ، فلا أحد يرضى أن يتعالى عليه أحد ، لذلك حرمه الله بأشد الألفاظ وأبشع الأوصاف حتى ترتعد منه النفوس ، وتتجنبه العقول .

ومما يدل على أهميه فى تربية الأولاد أنه يدخل ضمن ما وصى به لقمان الحكيم ولده ، فإحرص أيها المربى على التواضع وغرسه فى نفوس أولادك وحذرهم من الكبر ، وبطش الله للمتكبرين ، وجازهم زكافئهم على التواضع ، وعليك بقصة " قارون وفرعون " فيهما من العظات ما يكفى .

٢. <u>الصدق :-</u>

قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** " { التوبة : ١١٩ } ، وقال تعالى : " **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ**

اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " { الأحزاب : ٣٥ } ، وقال تعالى : "**طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ** " { محمد : ٢١ } .

أما الكذب ، فقد قال تعالى : " **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ** " { النحل : ١٠٥ } ، وقال تعالى : " **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** " { الأنعام : ١١ } ، وقال تعالى : " **انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا** " { النساء : ٥٠ } .

وقد عرف العلماء الصدق بأنه مطابقة ما ينطق به اللسان ، لما هو مستكن فى القلب والوجدان ، أما الكذب فهو ضده ، وهو الغش الإجتماعى ، وتور الحقائق على الناس .

والصدق منهج تربوى إسلامى ، فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من قال لصبى تعال هاك ثم لم يعطه فهى كذبة " [٣١] ، فهكذا نرى نبينا صلى الله عليه وسلم يحرص تمام الحرص على تربية الأولاد على هذه الصفة الحميدة والخلق القويم ، وكيف لا ، فإن الصدق فى الأقوال يؤدى إلى الصدق فى الأفعال مما يؤدى إلى صلاح الأحوال ، وإنتشار البركات والرحمات ، وزيادة المحبة والألفة بين أفراد المجتمع ، فيتقدم المجتمع ويعمه الرخاء والإزدهار ، وعلى النقيض إذا إنتشر الكذب إنتشر معه الفساد والإضمحلال والكساد ، بما يؤدى بضعف المجتمع وزوال هيبته لان الكذب يؤدى إلى الفجور كما أخبرنا النبى صلى الله عليه وسلم ، وكما قيل " رأس المأثم الكذب " وهو من أقوى أسلحة إبليش فى الإغواء وتسهيل إرتكاب المعاصى ، فالكذوب يتعمد الكذب ليغطى ويمحو معصية إرتكبها أو ليتجمل سنية فعلها ، أو ليبرز ما يقوم به من أعمال الشيطان ، لذلك يجب أن نصون أبنائنا عنه ونحميهم منه .

٣.<u>التعاون على البر والتقوى :-</u>

قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** " { المائدة : ٢ } ، تشير الآية الكريمة إلى نوعين من التعاون .

النوع الاول : هو الذى إرتضاه الإسلام وحرص عليه وحث عليه المسلمين ، وهو التعاون فى كل وجوه الخير التى تعود على الأفراد والجماعات بالنفع ، التعاون على طاعة الله ونصرة دينه ،

---

[٣١] [رواه أحمد وحسنه الألبانى فى الترغيب والترهيب " ٢٩٤٢ "] .

التعاون لنصرة المظلوم ، التعاون لردع الظالم ، التعاون من أجل المصلحة العامة ، التعاون للإرتقاء بالمجتمع ونشر العلم والثقافة ، وهكذا .

أما النوع الآخر : فهو النوع المذموم الذى حاربه الإسلام ، وهو ما كان عليه العرب فى الجاهلية ، وهو التعاون على الإثم والعدوان وظلم الناس والإفساد ونشر الرذيلة والفاحشة فقد كان العرب يقولون أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .

والإنسان كائن إجتماعى بطبعه ، لايستطيع العزلة عن المجتمع ، فهو يحتاج إلى غيره لإشباع حاجاته الأساسية من كساء وغذاء ودواء وغير ذلك من متطلبات الحياه ، وغيره كذلك يحتاج إليه ، ومن ثم كان التعاون ضرورة ملحه لابد منها ، لذ حث الإسلام عليه وقننه وضبطه ، ومن ثم ينبغى أن يتعود الطفل على التعاون المثمر والفعال منذ الصغر ، كما ينله على التعاون ضرورة من ضروريات الحياة ، فكثيراً من الأنبياء الصالحين طلب نت الله يعينهم بغيرهم ، مثل " موسى " عليه السلام ، و " ذو القرنين " وغيرهم ، حتى يتقدم بهم المجتمع .

٤. أداء الأمانة :-

قال تعالى : " **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** " { النساء : ٥٨ } ، وقال تعالى : " **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** " { الأحزاب : ٧٢ } .

يتصور أن مجتمع تضيع فيه الأمانة ، فهو مجتمع لا أمان فيه ، تضيع فيه الحقوق ، ينتشر فيه أمراض القلوب من الحقد والكره والغضب ، وهو من علامات قيام الساعة كما أخبرنا بذلك المعصوم عليه الصلاة والسلام ، ومن علامات النفاق ويرتبط بالخيانة العديد من الرزائل التى تحط من قدر الإنسان أمام نفسه وأمام مجتمعه .

٥.الإتحاد :-

قال تعالى : " **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** " { آل عمران : ١٠٣ } ، يأمر الله تبارك وتعالى فى الآية بالإعتصام وهو التمسك زالتشبث بشريعته ، وشبه الشريعة بالحبل زيادة فى الإيضاح وحثاً على

التمسك بها ، فهى وسيلة الإتحاد والتجمع التى يستمد منها المسلمون قوتهم بالإلتفاف حولها ، وتنهانا عن التفرق ، التفرق يأتى الضعف والهوان ، وإذلال الأمم والشعوب .

وينبغى للمربين أن يبثوا فى نفوس أولادهم قيمة الاتحاد وأثرها على الفرد والمجتمع ، والفُرقة والشتات وأثره على الفرد والمجتمع ، ويعظوهم ويحثوهم بأيات الله ، وقصص القرآن ، قال تعالى : " **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** " { آل عمران : ١٠٥ } ، وقال تعالى : " **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** " { الأنفال : ٤٦ } .

كما ينبغى أن يروى لهم ما فعله الإستعمار والغرب قديماً وحديثاً ، حيث لم يستطيعوا الهيمنة على أرض الإسلام ونهب ثرواتها قديماً لاتحاد المسلمين ، فأدركوا أن قوة المسلمين تكمن فى عقيدتهم التى تمدهم بالإتحاد ، فحاولوا إضعاف العقيدة وتمزيق الوحدة ، فحال المسلمين اليوم كما نراه ، لايسر عدواً أو صديق ، ومنها فهناك علاقة طردية بين إرتباط المسلمين بعقيدتهم وبين قوتهم وإزدهار حضارتهم ورقيها .

كما ينبغى خلق المواقف التى تتطلب الإتحاد والتعاون من الآطفال وحثهم عليه ودفعهم إليه ، حتى يعتادو عليه .

٦.الوفـــاء :-

قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** " { المائدة : ١ } ، من القيم الهامة التى لها أثر عميق فى العلاقات الإجتماعية والإنسانية ، فهو يعمق الإحترام بين الأفراد والجماعات ، وينمى المحبة ويوسع دائرة العلاقات الإجتماعية ، والإخلال به ، يجلب إختلال العلاقات الإجتماعية داخل المجتمع .

وقد جاء إستعماله فى القرآن الكريم بصيغ مختلفة ومتنوعة ، فتارة يأتى الوفاء بعهد الله ، كما قال تعالى : " **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** " { البقرة : ٤٠ } ، وتارة يأتى بعموم الوفاء ، كقوله تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** " { الصف : ٢- ٣ } ، وقال تعالى : " **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** " { الإسراء : ٣٤ } ، وقال تعالى : " **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ**

أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " { الانعام : ١٥٢ } .

وهكذا يأتى إهتمام القرآن الكريم فى تربيتة للمسلمين بالوفاء والحث عليه وتنوع الآيات القرآنية المختصة به توحى بعموم المعنى ، فلا يقتصر فقط على الوفاء بالمواعيد ، والعهود ، والكيل والميزان فقط ، بل المعنى أشمل من ذلك ، وهكذا تتجلى عظمة التربية القرآنية وروحها ، ولكى يحث ويدفع الله تبارك وتعالى المسلمين إلى الوفاء لم يحذرهم من الإخلال به فقط ، بل ضرب لنا أروع وأسمى نموذج فى الوفاء ، قال تعالى : " **وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ؟!** " { التوبة : ١١١ } .

فإحرص أيها المربى على تربية أبنائك عليه ، وإذا لم تفعل فإعلم أن أول من يعانى من ضده هو أنت .

الروابط والصلات الإجتماعية :-

عمل القرآن الكريم على ربط أفراد المجتمع المسلم مع بعضهم البعض بعدة روابط وجعل لها آداب وحقوق ، وحذر قطع هذه الصلات ، دفعاً لتماسك المجتمع وتقوية روابطه ، وزيادة المودة والألفة .

- فمنها روابط الأبوة والبنوة ، قال تعالى : " **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** " { الإسراء : ٢٣ } ، وقال تعالى : " **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** " { الإسراء : ٢٤ } ، وأيضاً قوله تعالى : " **وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا** " { الإسراء : ٢٨ } ، وقال تعالى : " **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** " { لقمان :١٤ } ، فلنعلم أبنائنا ونربيهم على بر الوالدين ، فقد أكثر الله تعالى : " من التوصية بهما خيراً ، حتى أنه قرن الأمر بعبادته بالأمر بالإحسان إليهما ، وقرن الأمر بشكره بالأمر بشكرهم .
- ولا تقتصر العلاقات والصلات الإجتماعية على الوالدين فقط بل تمتد لتشمل جميع الأقارب والأرحام ، فقد نهى الله قطعها وأمر بوصلها ، قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** " { النساء : ١ } ، وقال تعالى

: " **وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ** " { الرعد : ٢١ } .

- ويوصى أيضاً بالجار القريب ، قال تعالى : " **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** " { النساء : ٣٦ } ، فقد جمع الله فى هذه الآية المستحقسن للإحسان والصلة ، ومنهم الصاحب .

فينبغى أن ينظم المربى أوقات للصلة والإحسان إلى هؤلاء المشار إليهم فى الآية ويطلع الصغير عليه ، ويشاركه فيها ، ومع مرور الوقت يحاسبه هو إذا كان يصل الأهل والأصدقاء والجيران أم لا ، ويكافئ عليها .

ومن الجوانب المهمة أيضاً التربية الإجتماعية ، أن يحرص المربى على تلقين الأولاد الآداب الإجتماعية ، مثل الإستئذان والسلام ، والتهادى وغير ذلك .

وأخيراً ، فهذا النموذج الأمثل فى التربية الإجتماعية ، الذى يضاهيه ولا يضارعه نموذج فهو نموذج من وضع الله الذى يعلم السر وأخفى ، الذى يعلم بمكنون النفوس ، وما يضرها وما يصلحها ، فإذا كنا نريد السلامة لأبنائنا والنجاة من عقاب ربنا فلنتبع ما وجهنا إليه ، ولا نأخذ بما يأتى به العقل الضعيف الذى يخطئ ويصيب ، وخاصة العقول الغربية الكافرة ، فلو كان فى أفكارهم خير لصلحت بها مجتمعاتهم ، لكن التفكك والإغراق يعم مجتمعاتهم ، فبتغوا العزة فيما عند الله فهو المعز وهو المزل ، لا إله إلا هو .

وفيما يلى نعرض لبعض المواقف الإجتماعية ، ونبين آدابها وآثارها:-

السلام

جعل الله تبارك وتعالى تحية الاسلام " السلام " ، تعبيراً عن هدف الاسلام ومقصده من نشر الامن والطمأنينة بين أفراد المجتمع المسلم ، ودعوة للمحبه ونشر الخير وزيادة فى الالفة والمؤانسة ، ونبذ الكراهية والبغضاء والتحصين ضد الحسد والحقد ، وهو مجال لتوسيع العلاقات الاجتماعية وتدعيمها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتدخلوا الجنه حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا

، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ إفشوا السلام بينكم " [٣٢]، جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرط المحبة التى هى شرط الايمان ، والايمان شرط لدخول الجنة ، فكأنما جعل إفشاء السلام شرط على دخول الجنة ، فالمسلمين إذا تقابلا أقرا السلام بينهما ، لك منى السلام ولى منك السلام .

والله سبحانه شرع السلام منذ بداية الخليقة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لما خلق الله آدم صلى الله عليه وسلم قال : إذهب فسلم على أولئك – نفر من الملائكه جلوس – فاستمع ما يحبونك فإنها تحيتك وتحيه ذريتك ، فقال السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه : ورحمه الله " [٣٣] ، بذلك يكون السلام تحية البشرية جمعاً ، وليست خاصة بالمسلمين فقط .

ويستحب أن يقول المبتدأ بالسلام : " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " ، ويرد عليه الاخر بقوله : " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته " ، وله بكل كلمه عشر حسنات ، والله يضاعف لمن يشاء ، عن عمران بن حصين – رضى الله عنه – قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم فرد عليه ثم جلس ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " عشر " ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه فجلس ، فقال : " عشرون " ، ثمجاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه فجلس ، فقال : " ثلاثون " [٣٤] .

والاحاديث الواردة فى بيان فضل السلام كثيره منها ما رواه عبد الله بن سلام – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الارحام ، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنه بسلام " [٣٥] .

---

[٣٢] [رواه مسلم " ٥٤ "]

[٣٣] [البخارى " ٣٣٢٦ " ، ومسلم " ٢٨٤١ "] .

[٣٤] [رواه أبو داود ، والترمذى ، وصححه الالبانى فى صحيح أبى داود " ٤٣٢٧ "] .

[٣٥] [رواه الترمذى ، وصححه الالبانى فى صحيح الجامع " ٧٨٦٥ "]